



أيها الحبيبُ المبارك، لو سألك سؤالاً - وسامحني في هذا السؤال - وقلتُ لكَ: صِف لي نبيك، فما هو جوابك؟ وكم سيجيبني من المحبين له؟ ولن أنتظر إجابات، بل سأضع بين يديك وصفاً مختصراً عن سيد الأنام لمن جهل يعلم، ولمن نسي يذكر ويراجع، ولمن لا يعرف جماله خلقاً وخلقاً، فليقرأ ليعرف جميل أوصافه، وحسن طباعه - صلى الله عليه وسلم.

إنَّ مَحْمَداً - صلى الله عليه وسلم - كان فَخْمَاً مُفْخَمًا، مُعْتَدِلُ الْقَامَةِ لِلطُّولِ أَقْرَبُ، مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ، أَبْيَضُ مَشْوِيَاً بِحُمْرَةِ شَعْرِهِ وسَطَّ بَيْنَ الْجُعُودَةِ وَالْأَسْتُرَسَالِ، طَوْلُهُ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أَذْنِيهِ إِلَى مَنْكِبِيهِ، كَثُرَ الْحَيَاةِ، تَوْفَاهُ اللَّهُ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلَحِيَتِهِ عَشْرُونَ شَعْرَةً بِيَضَاءِ، عَرِيقٌ أَعْلَى الظَّهَرِ، فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ يَتَلَاءَّ كَالْقَمَرِ، أَسْوَدُ الْعَيْنَيْنِ، طَوْيلُ شَقِ الْعَيْنِ، يَكْتُلُ بِالْإِثْمِدِ، أَفْلَجُ النَّثَابِيَا، طَوْيلُ الْأَشْفَارِ، دَقِيقُ الْمَسْرِيَّةِ، غَلِيقُ أَصْبَاعِ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، ذَا مِشَيَّةَ سَرِيعَةِ.

وَأَمَّا خَاتَمُ نَبِيَّتِهِ، فَكَبِيسَةُ الْحَمَامِ حَجَّمَا، شُعْرِيَّاتُ فِي ظَهَرِهِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ، وَلِبْسُ خَاتَمًا مِنْ فَضَّةٍ مَنْقُوشٌ عَلَيْهِ (محمد رسول الله)، كُلُّ كَلْمَةٍ فِي سَطْرٍ، يَكْلِسُهُ فِي يَمِينِهِ، وَقَعَ فِي بَئْرِ أَرِيسِ.

وَأَمَّا لِبَاسُهُ - صلى الله عليه وسلم - فَلَيْسَ الْقَمِيصُ، وَلَيْسَ ثَوِيَا فِي هُمْرَةِ، وَثِيَابًا مُزَيَّنَةَ مِنْ كِتَانٍ وَقَطْنٍ، وَكَذَا بُرْدَانُ أَخْضَرَانِ، وَيُحِبُّ الْبَيَاضَ مِنَ النَّيَابِ، وَلَيْسَ جَبَّةً رُومِيَّةَ ضَيْقَةَ الْكُمَيْنِ، وَلَهُ إِزارٌ وَرَدَاءٌ، وَكَمْهُ إِلَى الرُّسْنُخِ، وَنُوبُهُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيَهِ - صلى الله عليه وسلم - وَلَيْسَ عَمَامَةَ سُودَاءَ مُسْدَلَهَا بَيْنَ كَتْفَيْهِ، وَلَيْسَ الْخُفَيْنِ، وَنَعْلًا يَأْصِبُعُ، مَثْنَى مِنَ الْأَعْلَى، لَا شَعَرَ فِيهِمَا، وَلَيْسَ نَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ؛ أَيْ: مَخْرُوزَتَيْنِ.

وَأَمَّا أدواتُ حَرِبِهِ - صلى الله عليه وسلم - فَلَهُ سِيفٌ مَقْبُضُهُ فِضَّةٌ، صُنْعٌ فِي بَنِي حَنِيفَةِ، وَلَهُ دِرْعَانٌ، وَمِغْفَرٌ (خُوذَةٌ). وَأَمَّا جَلْسَاتُهُ - صلى الله عليه وسلم - فَقَعَدُ الْقُرْفَصَاءُ، وَاسْتَلَقَ عَلَى ظَهَرِهِ وَاضْعَانًا إِحدَى رِجْلِيهِ عَلَى الْأُخْرَى، وَجَلَسَ مَحْتَبِيَا، وَاتَّكَأَ عَلَى وَسَادَةِ.

وَأَمَّا عِيشَهُ - صلى الله عليه وسلم - فَلَمْ يَشْبِعْ هُوَ وَآلُ بَيْتِهِ الْأَطْهَارُ مِنْ خَبْزِ الشَّعَيرِ قَطْ يَوْمَيْنِ مُتَابِعِيْنِ، وَلَمْ يَأْكُلْ لَحْمًا إِلَّا بِمَحْضِرِ ضَيْوَفِ، وَأَكَلَ التَّمَرَ الرَّدِيءَ، يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ الْمُلَلَةَ وَيَلْعَقُهَا، إِدَامُهُ الْخَلُّ، أَكَلَ لَحْمَ دَجَاجَ مَرَّةً، وَلَحْمَ حَبَارَى، وَلَحْمًا مَشْوِيًّا، وَيُحِبُّ الْذَرَاعَ، يَحْبُبُ الدُّبَاءَ وَالْحَلْوَى وَالْعَسْلَ، وَيُحِبُّ التَّرِيدَ، وَيُحِبُّ أَنْ يَأْكُلَ بَاقِي الطَّعَامِ، وَأَكَلَ الرُّطْبَ بِالْقَنَاءِ وَكَذَا

بِالْبَطِّيخ وكذا الخربز، يحب الشراب الحلو البارد، فشرب العسل والماء واللبن، ونقع التمر أو الزبيب في قدر من خشب غليظ مُضَبَّب بحديد، شرب واقفاً وقاعداً.

وأما عطره، فكان له إماء يتطيب منه - صلى الله عليه وسلم - وكان لا يرد طيباً.

وأما كلامه - صلى الله عليه وسلم - فكان سهلاً فصلاً يعيده ثلاثاً، لا يتكلم في غير حاجة، أوتى جوامع الكلم، متواصل الأحزان، دائم الفكرة، يتمثل بشيء من الشِّعر، مثل: **وَيَأْتِكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَّ اللَّهُ بَاطِلُ.**

يسمر مع أصحابه ويُحاذِّهم، يُكثِّر التَّبَسُّم معهم، ضحك في مواقف مُتَفَرِّقة، يمزح مرحًا صادقًا.

وكان إذا نام - صلى الله عليه وسلم - وضع كفه اليمنى على خدِّه، ذاكراً لربِّه، وإذا نام سمع غطِّيه، وإذا نام قبيل الصُّبح في سَفَر نَصَبْ ذراعَه ووضع رأسَه على كفِّه؛ حتى لا يستغرق في نومه فتفوته صلاة الفجر، وفي راسه أدم (الجلد المدبوغ) حشوٌ ليفٌ (قِشر النَّخل).

عبد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ربِّه حتى تورَّمت قدماه، وقال: ((أَفَلَا أَكُونْ عَبْدًا شَكُورًا!)), يصلِّي ليلاً طويلاً قائماً، وليلًا طويلاً قاعداً، مُحافظاً على قيام اللَّيل والسنن الرَّواتب وصلاة الضحى، كثير الصِّيام، ويصوم يومي الاثنين والخميس، وثلاثة البيض، وعاشوراء.

وأما قراءته - صلى الله عليه وسلم - لقرآن ربِّه، فهي قراءة مُفسَّرة حرفاً حرفاً مدياً، حسن الصوت، يجهر ويُسرُّ بالقراءة، وإذا بكى سمع له أَزيز كأزيز المِرجل من البكاء، بكى عند آيات من الكتاب العزيز، وبكى عند فراق الأحباب والأصحاب. تواضعه أدب يُقتدى، وسمت يُهتدى، فقال: ((إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)), ركب حماراً، ويفلِّي ثوبه، يحلب شاته، يخدم نفسه، لم يقل يوماً ما لأحد قط: أَف، لم يضرب خادماً ولا امرأة، يختار أيسير الأمررين، يغضِّب لله، يتغافل عمما لا يشتهي، لا يدخل شيئاً لغدِّ، يقبل الهدية ويثيب عليها، أشد حياءً من العذراء في خدرها، وإذا كره شيئاً عُرف في وجهه، احتجم وأمر بالحاجمة. قال: ((مَنْ رَأَيَ فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَيَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي))،

اللَّهُمَّ ارزقنا رُؤْيَا حَبِيبِكَ الْمُصْطَفِي - صلى الله عليه وسلم - في المنام، ولا تحرمنا رؤيتك عند الصِّرَاط، ولا شفاعة عند الفصل بين العباد، ولا سُكناه في الفردوس الأعلى من الجنان، اللَّهُمَّ آمِينَ، اللَّهُمَّ آمِينَ!

تم الانتهاء من ذكر شيء من شمائل النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - أتمنى أن أكون أوفيته جُزءاً من حَقِّه عَلَيَّ في نشر شمائله والتعریف بوصفه وخلقه، ويا رب اجعلها نوراً في قبرى، وشفاعة يوم حشرى، وقرباً من داره في الفردوس الأعلى يوم خلودى، وكل من قرأها واستثار بها وعمل بهديه، واستثن بستنته، واقتفي أثره، ولزم غرزه، يا رب العالمين! وصلِّ اللَّهُمَّ وسلِّمْ على سيدنا محمد، وعلى آلِه وصحبه أجمعين.

المصادر: